الافتتاحيّة

نركز افتتاحية هذا العدد من مجلة بيبليا، على موضوع المحبة، حيث أنّ الرسالة الأولى إلى الكورنثيين تختزن واحدةً من أجمل الصفحات التي دوّنتها يد إنسان، عنيتُ به نشيد المحبة في ١ كو ١٣.

كثيراً ما نتداول بموضوع المحبة، فنتحدث عنها بإسهاب، جاعلين منها، وعن حق، الموضوعَ الأساسي لتأملاتنا، وصلواتنا، وتمنياتنا، ومواعظنا، وإرشاداتنا، وكتاباتنا، وهذا أمر حسن، كون المحبة العنصرَ الأساسيَّ والتكوينيَّ في العلاقة بين الله والانسان، وبين الواحد منا والآخر. لكن، عندما نتبيّن أن وقع الكلمة ومردودَها غالباً ما يكونَا محدودَين عند معظمنا، أو حتى معدومَين عند كثيرين، وفاعلة ومثمرة فقط عند القلّة، نتساءل عن السبب، فإذا وجدناه فهمنا وبطل العجب، علماً أن هذا لا يستتبع بالضرورة حلاً للمسألة المطروحة.

نحو سنة اليوبيل العظيم
سنة المحبّة ورحم الرب

فهل الالتزام المتدنّي بالتنفيذ وبالعيش هو في أساس عدم الإتيان بالثمار المرجوة وبالغلال الوافرة التي تحلو للرب؟

هل إن عدم الإدراك لمفهوم كلمة «محبة» هو علّة العلل، وبالتالي تَشِيلُنا معالجتُه من هوّة الجهل، وتعيدنا أبناء للمعرفة التي بدونها يبقى الإيمان كلمة هباءً، يذهب مدلولها مع تواري صداها؟

هل إن رغبتَنا الصادقة، ونوايانا الحسنة، وإراداتَنا الصالحة، تتعرض لِمَدّ مَعمِيَّاتِ العالم، فتقبض على خناق اندفاعنا، وتلطم موجاتِ حماسنا، وتدكّ حصون قراراتنا، فإذا بالحياة مقهورة أمام العدم، وهذا أقصى التعارض مع ما أراده الله عندما أوجد وخلق، لأنه سيد الوجود والحياة، لا الخواء والخلاء؟

وأخيراً لا آخراً، هل نحن، لا سمح الله، من عداد أولئك «الكثيرين الذين تجفّ محبّتهم»؟!

إن أسمى أمنيات الرب يسوع وآخرَها، هي أن نحب الآب السماوي، ونحبه هو، وبعضنا بعضاً، كما هو أحبنا، وبالتالي أن نعطي الحياة جُلَّ عنايتنا واهتمامنا، لأن الحبّ هو نبع الحياة، ونقيضَه تصحُّرٌ وموت. فهل نستقبل سنةَ الألفَين بفعل توبةٍ، نستغفر به من الله المحبة الذي في السماء، والذي أقمنا آلهةً بديلاً عنه على الأرض،

ونطلب المسامحة على عدم فسح المجال للروح القدس، لينمّي عندنا المعرفةَ، والفهمَ، والحكمةَ التي بالطبع ليست حكمةَ هذا الدهر، ويضرمَ في قلوبنا التآخي، والوئام، والمحبةَ التي هي أعظم الفضائل وأسماها؟ إن إعلاء بنيان المعرفة هو الضمانة الحقة والأمتن للمحبة، ومَن يصلي، ويناجي، ويتأمل، لا بدّ وأن يصبح من أحباء المعرفة ومن الهائمين بها، وبالتالي من مجسّدي المحبة في كل توجهاتها واتجاهاتها.

قال الربُّ يسوع: «وصية جديدة أعطيكم: أحبُّوا بعضكم بعضاً؛ بهذا يعرف الناس جميعاً أنكم تلاميذي» (١٣: ٣٤-٣٥). ليست الوصية جديدة ؛ فالكتبة كانوا يعلّمون قبل ذلك، استناداً إلى أح ١٩: ١٨، واجبَ «محبة الانسان قريبه كنفسه» (رج لو ١٠: ٢٦). كما نقرأ في «وصية جاد»، وهو من النصوص اليهودية المنحولة، ما يلي: «أحبّوا كلّ واحدٍ أخاه، وانزعوا البغض من قلوبكم. أحبّوا بعضكم بعضاً بالفعل، وبالقول، وبالمشاعر» (٦: ١). أمّا «الجديد»، بالمقارنة مع ما تقدّم، فهو حب يسوع لخاصته حتّى بذل الذات، يسوع ينبوع هذا الحب المتبادل وقاعدته، الحب الذي به يوصي تلاميذه.

يركز يو ١٣: ٣٥ على المحبة المتبادلة كعلامة فارقة للتلاميذ الحقيقيين. ينبغي أن يكون عيش المحبة الأخوية المؤسسة على محبة المسيح، شهادة للذين هم في الخارج. لقد ذهب متّى ولوقا بعيداً في طريقة نقلهم لهذه الوصية الانجيلية، إذ تكلما على «محبة الأعداء»، ولكن دون انتظار المبادلة (رج متّى ٥: ٤٤؛ لو ٦: ٢٧)، حيث يُعَبِّر بطريقة أفضل أيضاً عن «الجِدَّة» غير العادية والجذرية لرسالة يسوع.

أما تعليم يسوع الذي يقول فيه : «من يحبني يحبه أبي» (١٤: ٢١)، فهو في تواصل جوهري مع محبة الواحد للآخر، ومحبة التلاميذ له؛ ولا يمكن الكلام على الواحدة دون الأخرى، وإلاّ كان في الأمر «كذبا»، كما يقول يوحنا صراحة.

ينقل لنا الانجيلي يوحنا قولاً وجيزاً ليسوع، ولكنه واسعُ المدى، هو التالي: «إن تحبوني تحفظوا وصاياي» (١٤: ١٥). ثم يواصل يسوع فيقول: «ومن يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه، وأظهر له ذاتي». ويضيف: «مَن أحبني حفظ كلمتي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، ولديه نتخذ منزلا» (١٤: ٢٣). لم يعد يسوع وحده الذي «يأتي»، بل إنه يبشر بمجيء الآب بالذات في الوقت عينه، كي يزور مَن يحبُّه ويقيم عنده. لم يعد يوحي «مسكن» الآب بمكان بعيد، فلا ينبغي بالتالي البحث عنه «في السماء»، بل في حميمية المؤمن بالذات. الآب هو الذي، بمبادرة مُحِبّةٍ، يقوم بحركة تنازلية ليأتي مع ابنه نحونا.

فبأيّة مبادرة نبادل الربَّ في سنة اليوبيل العظيم، سنة الألفَين؟ هل هناك أعظم من حركة ارتقاء نبتغيها، وهو يُنعشها ويفعّلها ويُنجحها، «لكي نكون في ما هو للآب» ؟

لن يكون لنا غير المحبة طريق حياة، وقد صارت بيسوع جسداً، قبل ألْفَي سنة، وهي أعظم الفضائل والوسائل، كما علمناها القديس بولس في ١ كو ١٣ خاصة، وفي أماكن أخرى من كتاباته عامة.

لتكن سنة اليوبيل العظيم سنة رضى للرب، سنة الحبِّ الأعظم، لندشّنَ معاً زمنَ خلاصٍ متجدّدٍ بالمسيحِ يسوع !

أ. أيّوب شهوان

رئيس التحرير

المحبة!